

شعر المدح في ديوان "ألوان من الواحات" للشاعر الشعبي خالد شامخة

The poetry praise in the collection poems " colors from the oases" by the folk poet Khaled Shamkha

سامية بن دريس

جامعة ميله، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية (الجزائر)

s.bendris@centre-univ-mila.dz

النشر: 2025/12/31

القبول: 2025/12/21

الإرسال: 2025/08/09

ملخص:

يعدّ المدح من أهم مكونات القصيدة العربية القديمة خاصة، وقد انتقل هذا الميراث من الثقافة الرسمية إلى الثقافة الشعبية، ومن المركز إلى الهامش؛ حيث استلهم هذا الأخير جلّ معانيه وأفكاره وغاياته، مع مراعاة الخصوصيات اللغوية والتعبيرية للقصيدة الشعبية.

وقد جاء هذا المقال الموسوم بـ " شعر المدح في ديوان : ألوان من الواحات للشاعر الشعبي خالد شامخة" ليجيب عن سؤال إشكاليته الأساسية المتمثلة في : كيف تجلّى المدح في ديوان ألوان من الواحات؟ و ماهي أهم الشخصيات التي مدحها الشاعر؟ حيث سعى البحث إلى تتبع هذه الظاهرة في علاقتها بالمحيط الاجتماعي والثقافي في الفضاء الصحراوي، وقدرتها على رصد مختلف الأحداث ، وتفاعلها مع الحياة وارتباطها بالقيم الأخلاقية والاجتماعية كما تجسّدت عند الشاعر خالد شامخة بصورة خاصة.

الكلمات المفتاحية : شعر المدح ؛ كالشعر الشعبي ؛ ألوان من الواحات ؛ خالد شامخة.

Abstract:

The poetry praise is an essential component in arabic poem, especially in ancient poems, this poetic heritage has transformed from official culture to popular culture, and from the center to the margins, but he preserved its linguistic and expressive characteristics. So this paper titled « the poetry praise in the collection poems " colors from oases" by Khaled Shamkha » aims to answer the fundamental problematic quetion which focuses on : how did the poetry praise appear in the collection colors from oases ? and what are the most important figures he praised ? Also the paper aims to explore the relationship between the popular poems by Khaled Shamkha and the social and cultural environment, its ability to monitor multiple events, and its interaction with saharian life, that related to the moral and social values, as represented by the poet.

Keywords: The poetry praise ; The popular poetry ; colors from the oases ; Khaled Shamkha

1. مقدمة:

والمِدحة الاسم، والجمع مِدَحٌ، وهو المديح (...) والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مُدح به كالمِدحة والأمدوحة، ورجل مَدَح من قوم مَدَح ومديح وممدوح. وتمدَح الرجل تكلف أن يمدح، ورجل ممدَح أي ممدوح جدا... ومدح الشاعر وامتمدح" (منظور، لسان العرب، صفحة 4156)

أما على المستوى الاصطلاحي فالمدح _ كما هو معلوم _ غرض من الأغراض الشعرية البارزة في الشعر العربي منذ القديم، والذي يعنى بإظهار محاسن الممدوح وفضائله، بهدف الرفع من شأنه وإعلاء مكانته بين قومه، وذئوع صيته بين العرب، وتخليد اسمه، سواء أكان ذلك إعجابا بخصاله وحباً فيه أو بغرض التكسب والمنفعة، أما معانيه فمستمدة من القيم التي اعتزَّ بها العربي، في بيئته الصحراوية، فكان الشعراء " يمدحون بالجود والعزة والشجاعة والإباء والفتك بالأعداء وإكرام الضيف ورعاية حقوق الجار وصفاء النسب " (محمد، دت، صفحة 6) حيث انصبَّ على تعزيز لقيم الإنسانية للمحافظة عليها وترسيخها في النفوس، والإشادة بالمتصفين بها، غير أنه ومع تقدم العصر ارتبط بالمنافع المادية، بسبب إدراك الملوك والأمراء والخلفاء _ فيما بعد _ لقيمتها الإعلامية وخطورتها في التأثير على الجماهير. و قد ارتبط نوع المديح بالأشخاص، فهناك المديح الديني، وأبرزه المديح النبوي، وهناك مدح الملوك والخلفاء وذوي السلطان، وهناك مدح العلماء ومدح الأوطان، الذي أصبح في العصور الحديثة شعرا وطنيا.

وقد سار الشاعر على خطى معلّمه وشاعر متليلي قدور بلخضر (1860 _ 1921م)، وترسم

يعدّ الشاعر خالد شامخة (1977) الملقب بأسد الشعراء أحد أبرز الشعراء الشعبيين في الجنوب الجزائري، اشتهر بالشعر الملحون وبعض الكتابات في مجال الشعر الفصيح، شارك في عديد ملتقيات الشعر الملحون، خاصة بمناطق الجنوب. له ديوان وحيد موسوم بـ "ألوان من الواحات"، صدر سنة 2012، ضمّ شتى الأغراض الشعرية أبرزها المدح، والوصف، مع الاحتفاء بمختلف مظاهر الطبيعة خاصة الصحراوية منها، مشيدا بقيم أهلها ومناقبهم. بالإضافة إلى كلّ هذا فقد حفل الديوان بالأحداث التاريخية والوطنية والدينية، حيث قدم الكثير من القصائد في تمجيد التاريخ الوطني كتمجيد الثورة التحريرية وبطولاتها وصوّر مقاومتها للمستعمر على مرّ العصور، فضلا عن إشادته بشخصياتها. بالإضافة إلى الاحتفاء بالمناسبات الدينية كشهر رمضان مفردا له بعض القصائد المستقلة. بالإضافة إلى موضوعات أخرى متفرقة بعضها موجه للشباب، وبعضها قصائد في المرأة.

ومن هنا جاء موضوع ورقتنا ليستكشف حضور المدح في الديوان محلّ الدراسة، ومن ثمّ فإنّ الإشكالية المركزية للبحث تتمثل في السؤال التالي: ما مدى حضور المدح في ديوان "ألوان من الواحات" وماهي أنواعه؟

2. الأول المدح في ديوان "ألوان من الواحات":

جاء في لسان العرب لابن منظور: "المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء، يقال: مدحته مِدحة واحدة، ومدّحه يمدّحه مدحا ومِدحة، هذا قول بعضهم، والصحيح أنّ المدح المصدر،

أبوابها . و قد استمدَّ الشعر الديني الجزائري بنوعيه الفصيح والشعبي موضوعاته من الدين الإسلامي ، حيث يعود ذلك إلى " النشأة الدينية للشعراء الشعبيين، فقد تعلّموا وتكوّنوا في الزوايا بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وشبّوا على مختلف التقاليد الإسلامية" (حيّ)، (2012، صفحة 66) ومن ثمّ كانت هذه الصفات جزءا من شخصيتهم، ومنها حبّ النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به ومدحه وإعلاء مكانته وبيان فضائله وصفاته، بل إن ذلك عدّ من ملزمات الإيمان وصحة العقيدة والإخلاص في الدين. لذلك فإنّ الشعراء الشعبيين الجزائريين اتخذوا من " الابتهال والاستعانة بالله، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم والشيوخ والأولياء الصالحين موضوعات" (فضة، 2020، صفحة 259) لشعرهم ، فضلا عن تأثرهم بالأساليب القرآنية والثقافة الإسلامية بمختلف صوّرها.

من أهم خصائص الشعر الشعبي، مهما كان الموضوع الذي يعالجه أنه يستعمل _ عادة _ لازمة البدء والختام، أي أنّه يفتتح القصائد بتعظيم الله تعالى ويختتم بالصلاة على رسوله، أو هما معا، حيث تبدو هذه اللازمة من تقاليد هذا اللون الشعري.

وهذا ما لاحظناه في جميع قصائد الديوان، مهما كان موضوعها وغرضها. وتمثّل الافتتاحيات عادة تمهيدا لطرق الموضوع المراد، ووضع المتلقي داخل الجو النفسي للنص، والاستحواذ على انتباهه، ومن ثمّ السيطرة على أحاسيسه وتوجيهها، وتحقيق التفاعل المنشود.

ومن أمثلة المطالع التي تضمّنت تعظيم الله تعالى والصلاة على النبي بأعظم صفاته، حيث

خطاه، فما فتى ينسج قصائده على منواله، ويعلن إعجابه به، كأحد فحول الشعر الملحون في الجنوب الجزائري، متأثرا بشخصيته الفنيّة، باعتباره رمزا من الرموز الجديرة بالتقدير والاحترام. ومن أبرز أنواع المدح التي عالجه، نجد المديح النبوي، ومدح الشاعر قدور بلخضر، ومدح أهل الصحراء، وغيرها من الموضوعات التي سنتعرض لها بالدراسة والتحليل.

1.2. المدح النبوي:

المديح النبوي ركن بارز من أركان المدح في الشعر العربي، و يعزو زكي مبارك مصدر شيوعه إلى التصوف، ويعرّفه بأنّه " لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع ، لأنّه يصدر عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص" (مبارك، 2023، صفحة 15)، تسعى لإظهار حبّ النبي صلى الله عليه وسلم وإبراز جميل فضائله وصفاته الخلقية والخلقية ، مع ذكر ومعجزاته ومكانته عند الله، وفضله على الأنبياء والناس أجمعين، مع التوسل به وإكثار الصلاة والسلام عليه طلبا للمغفرة والشفاعة . ويشير زكي مبارك إلى أنّ الذين أجادوا هذا الفن " لم يكونوا في الأغلب من فحول الشعراء ، لأنّه لم يطرّد في التاريخ، ولم يكن فنا ظاهرا بين الفنون الشعرية كالرثاء ، والوصف ، والنسيب". غير أنّ ذلك لم يمنع من تضمّنه " بدائع القصائد والمقطوعات، ولأنّ له شمائل غير شمائل المديح، ولأنّ لأصحابه غايات دينية وأدبية خليقة بأن تدرس". (مبارك، 2023، صفحة 15)

والمتمصفح للمدونة الشعرية الجزائرية، سيجد أنّ المديح النبوي يؤلّف بابا واسعا من

ونلاحظ تكرار الصفات الزكية التي تحلى بها النبي صلى الله عليه وسلم في شتى مطالع القصائد ، سواء بذكر خصاله عليه الصلاة والسلام ، أو عن الطريق التوسل به طلبا للشفاعة ، أو إعلاء لمقامه وبياناً لفضله ، ولا يتسع المقام للاستشهاد بها جميعاً ، بحكم أنها تمثل قواعد أساسية في شعر خالد شامخة من جهة ، ومن جهة أخرى لتكرار معانيها وحتى أساليبها ولغتها.

أما بالنسبة للختام ، فتمثل في الإعلان عن نهاية الموضوع والخروج منه بقفلة تكون في العادة بالصلاة على النبي وذكر بعض صفاته ، ثم يعلن الشاعر عن اسمه ولقبه كنوع من التوقيع ، فمثلاً في القصيدة الأولى الموسومة " القمر الضوايا " نجده يختم بقوله:

نختم كلامي باسمي في النهايا

خالد شامخة لقبي بادي بالشين

والصلاة على النبي مول الهدايا

محمد شفيعنا طه الأمين

(شامخة، 2012، صفحة 11)

فكما نرى فالشاعر يذكر بصفات الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ فهو صاحب الهداية الشفيع الأمين، طه، وهي صفات مستمدة من القرآن الكريم، ومن الثقافة الإسلامية، بمختلف مكوناتها الرسمية والشعبية.

و الأمر ذاته نلمسه في قصيدته الموسومة بـ " قبة الأقطاب " التي تتضمن الأوصاف ذاتها؛ أي الشفيع المرسل من الله سبحانه وتعالى، إذ يقول :

نختم بصلاة النبي المناب

يفتح قصيدته " زينة الأنظار " التي يصف فيها مدينة الأعواط ويمدح أهلها، بتعظيم الله تعالى وذكر صفاته؛ إذ يقول:

باسم المولى خالقي يا ذا الجبار

والصلاة على النبي تاج الكونين

محمد حبيبنا كامل الأنوار

بو فاطمة جدّ لحسن والحسين

(شامخة، 2012، صفحة 29)

فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه تاج الكونين. وفي ذلك اقتباس من ميمية البوصيري (608 _ 696هـ) الشهيرة. ولعلّ في ذلك تحقيق لقول أحمد شوقي، الذي ينضوي تحت بيان فضل البردة وصاحبها على سائر الشعراء اللاحقين. وهذا لا يمثل منقصة من شاعرنا، لأنها تدخل ضمن ظاهرة التناس والتأثير والتأثر في الشعر، بل إنه يتخذ ذلك مدخلاً لإضفاء مزيد من الصفات على النبي صلى الله عليه وسلم فهو الحبيب كامل الأنوار، وأبو فاطمة وجدّ الحسنين، وهي معاني متداولة في شعر المديح النبوي، كما أنها مستقاة من سيرة وحياة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي جزء من ثقافة أي مسلم.

وفي مطلع قصيدة " كانوا أهلي رحالة " فينطوي على تعظيم الخالق ، والسلام على نبيّه واصفا إياه بالشفيع صاحب الرسالة، فيقول:

باسم العالي خالقي ربّ الجلالة

يا سلطان الكون أنت تحكم فيه

والصلاة على النبي مول الرسالة

محمد شفيعنا زيد سلام عليه

(شامخة، 2012، صفحة 32)

محمد شفيقنا جاب الرسالة

(شامخة، 2012، صفحة 17)

لتحقيق بعض المساعي، كحفظ الوطن
وحمايته أو دوام الخير والمحبة:

بجاه العدنان يا الصادق مول الهدايا أشفع
فيينا يا الشافع خاتم لرسال (شامخة، 2012،
صفحة 19)

وعلى الرغم من كثرة الأبيات التي تتضمن المديح
النبيوي، والتي لم يخل منها أي نص تقريبا، فإنه
لم يفرد إلا قصيدة واحدة، في كامل الديوان
لهذا الموضوع، والتي وسماها بـ "طه لمجد" وهي
من صفات النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ورد
ذكر الأولى في القرآن الكريم في قوله تعالى "طه
(1) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) " (طه/ 1.
2). وعلى خلاف جميع قصائد الديوان فقد
جعل لها إيقاعا خاصا، حيث بنى وزنها على حرف
الدال، غير أنه جعل بين كل بيت وبيت شطرا
بروي اللام، وهي طريقة معروفة في الشعر
الشعبي:

بسم المولى الواحد الصمد

جبت كلامي منظوم نقصد

في معنى سرباتو العقول

هذا القول راني فيه نجرد

رصعته بالماس والزبرجد

في كفات ميزانو معدول

(شامخة، 2012، صفحة 26)

ففي هذا المطلع يتخذ الشاعر توظيفة قبل أن
يشرع في المدح، وكأنه يمهد للمتلقى حتى يهيئه
نفسيا لتلقي خبر أو حدث عظيم مستعملا
اللفظة العامية (نقصد) ويستعد له، بإعداد
جميل، من منظوم الكلام يضاهي عظمة الحدث
المرتقب، بدأه بذكر الله وتوحيده، هذا

ومن نماذج الختام أيضا ما ورد في نص " شمس
الشموس" الذي تضمن الصلاة والسلام على
النبي صلى الله عليه وسلم، مع الذكر بنسبه،
فهو محمد بن عبد المطلب (نسبة إلى جده)، ثم
يعمم السلام على أهله أجمعين، وهي سنة دأب
علمها المسلمون في أدعيتهم، وأشعارهم
وأناشيدهم وأغانيمهم، ونلمس ذلك في الكثير من
الأغاني الشعبية الجزائرية، ذات الطابع الديني،
أو التي يدور موضوعها حول المدح النبوي، لدى
كبار المغنين أو الشعراء الشعبيين.

والحقيقة أن نماذج البدء والختام في مدح النبي
صلى الله عليه وسلم كثيرة، وهي مثلما ذكر آنفا،
تمثل قاعدة من قواعد التقاليد الشعرية في
القصيدة الشعبية. وقد أكثر الشعراء الشعبيون
في دواوينهم وقصائدهم من الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم " لعلمهم بقيمتها عند الله
تعالى في نفوسهم وعند المؤمنين، فلم تخل
قصيدة من ذكر الصلاة والسلام عليه في بدايتها
ونهايتها" (حّي، 2012، صفحة 75)

كما قد يتخلل المديح النبوي ثنايا النص
ومفاصله، بغض النظر عن الغرض، أو
الموضوع الذي يتناوله، فقد يأتي ذلك في سياق
الوصف، أو في إطار مدح شخصية من
الشخصيات، أو في مقام توجيهي للشباب، وما إلى
ذلك من الموضوعات والسياقات التي تستدعي
ذلك، وكأن في هذا المديح النبوي إلحاح على
الإحالة على المرجعية الدينية والفكرية للشاعر،
فهو يتوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام،

يعبر عن ذلك بلغته الخاصة، وكأنَّ الشاعر يستوحي المعنى القرآني " ولكن لا تفقهون تسبيحهم"، ليسقطه على المعنى المراد، ذلك أنَّ القصيدة هنا تتجه نحو الاحتفاء والاحتفال الكوني بميلاد النبي:

غَنَات بمجيك طيور تغرد

الشجر والحجر ليك ساجد

والماء في السواقي فياض سيول

الحوت في البحر باسمك وجود الوحوش في البر
ليك تسيد

والنمل تحت الأرض صف فصول

النخلة حنَّت ليك يا لمجد والبعر طاعك قال
راني واجد

خلَّيت سلطان قريش مذهول

بشرى لنا في ذا المولد اسمه في الكون مخلد

اسمه ساكن في السرِّ المهمول (شامخة، 2012،
صفحة 27)

ونلمس من الأبيات السابقة مدى تأثير بردة البوصيري، في شعر المديح النبوي خاصة على مستوى المعاني، بما في ذلك الشعر الشعبي، وهذا ما رأيناه في الأبيات السالفة الذكر " حيث تحدَّث عن المعجزات، فذكر سجود الأشجار للرسول ومشيا إليه، وسير الغمامة (...) وكيف كانت دعوته ترسل الأمطار في السنة الشهباء" (مبارك، 2023، صفحة 125)

ثمَّ ينتقل لذكر صفاته وأعماله، مستقيا مادته من القرآن والسنة، مع بعض التأثيرات الصوفية _ كما تمت الإشارة آنفا _ خاصة عندما يتحدث عن المعجزات والخوارق:

جاء نبي اسمه محمد بدل الظلمة بنور مفرد

المنظوم الذي بذل فيه الشاعر من عقله ومن كلماته، فهو مصوغ من ألماس وزبرجد، قول تتوازن كمات ميزانه، ويكون درسا للناس صغارا وكبارا، لأنَّه يتعلَّق بحياة خير البرية، ثم يصف الليلة التي ولد فيها، حيث تورَّد الكون وسيَّحت النجوم وأعلنت ميلاده:

ليلة من الليالي الكون تورد

لاح ثوبه الكاسي الأسود

ونجوم بضياها تسبح وتقول

بشرى لنا بدا المولد

في ربيع الأول ننشد

الأفلاك دارت عنو وتجول

ليلة الأنين تاريخ محدد

الملائكة عنو تشهد

الملائكة سجَّل في ذا المرسول

بشرى لنا بدا المولد

بن يمينه طه لمجد

ولد بنو هاشم أهل الفضول

بن عبد الله بن عبد المطلب الجد سيد
الأسياذ ذاك الفدَّ (شامخة، 2012، صفحة 27)

ثمَّ ينتقل للحديث عن معجزاته _ كما تداولها التراث الشفوي والصوفي خاصة _ ببيان سعادة المخلوقات بميلاد النبي الأعظم (عليه الصلاة والسلام)، وهنا نلاحظ التمازج الواضح بين الخيال، والحقائق التاريخية، وفيها تظهر بعض تجليات المعرفة الصوفية، مع أثر خافت لنظرية وحدة الوجود، حيث تتحد جميع الموجودات، من طيور وشجر وحجر وسيول وحياتان ووحوش ونمل، وغيرها لتحتفي بميلاد النبي الأكرم، وكلَّ

خزج الأمة من عالم مجهول (شامخة، 2012،
صفحة 27)

فمن الواضح أنّ معاني هذه الأبيات غرفت من
النبع القرآني، إذ يقول عزّ وجلّ "ما كان محمد أبا
أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين
وكان الله بكلّ شيء عليمًا (40) يا أيّها الذين آمنوا
اذكروا الله ذكرًا كثيرًا (41) وسبّحوه بكرة
وأصيلًا(42) هو الذي يصليّ عليكم وملائكته
ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين
رحيمًا (43)" (الأحزاب / 40 ، 42). حيث يعدّ "
القرآن والسيرة النبوية الشريفة المنهلين للذين
تستوحي منهما قصائد ودواوين المديح النبوي
مادتها الإبداعية ، ورؤيتها وصورها الإسلامية كما
تلتجئ إلى كتب التفسير والسيرة النبوية التي
فصّلت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
تفصيلا كبيرا" (حيّ، 2012، صفحة 6)

من جهة أخرى تظهر التأثيرات الصوفية ، من
خلال الإشارة إلى المعجزات والكرامات النبوية؛
مثل ذكر الأرض والسموات لاسمه ونزول
المطر، وعموم الخير تبركا به.

ليختم في بقية الأبيات بالإكثار من الصلاة
والسلام عليه، بعد أن ذكر بناته الطاهرات
رقية وأم كلثوم وفاطمة، معدّدا صفات كلّ
واحدة منهن وصفاتهن، ثمّ عدّد فضائله ، وفي
ذلك استجابة لقوله تعالى " إنّ الله وملائكته
يصلّون على النّبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه
وسلموا تسليما" (الأحزاب / 56):

صلى الله عليك قد وقد

وقد النجوم فالسما ما تنعد

في الكون اسمك راهو مقبول

صلى الله عليك قد وقد

وقدّ الشمس والقمر والورد

والشجر بأخضارو في كل الفصول

صلى الله عليك يا طه لمجد

ياالبشير النذير يا محمد

يا العدنان يا الإمام الرسول (شامخة، 2012،
صفحة 28)

ومن المعاني التي طرقها الشاعر _ وهي
متداولة في الشعر الشعبي _ الدعاء والتوسل لله
تعالى بنبيه، معددا صفاته فهو النبي العدناني
الصادق الهادي الشفيّع خاتم المرسلين. وقد
لمسنا سمات هذا التوسّل في نماذج شعرية
مختلفة من الديوان، ومنها هذا المثال الذي
يدعو فيه الشاعر، أن يشمل الله تعالى الجزائر
بنعمة الأمن والسلام ، أن تسود المحبة بين
الجزائريين. ومع أنّ الشاعر لم يدوّن تاريخ
القصيدة _ كما فعل مع غيرها _ فإننا نفهم أنّها
من مخلفات العشرية السوداء، إذ يقول:

ياربّ العباد طلبتك بلّغ مُنايا

وبعد عتّا البلاء يا العالي يا متعال

بجاه العدنان يا الصادق مول الهدايا أشفع
فيّنا يا الشافع خاتم لرسال (شامخة، 2012،
صفحة 19)

وبهذا الدعاء والتوسل بالنبي صلى الله الله
عليه وسلّم، يبلغ الشاعر مراده من المدح وإعلاء
شأن الممدوح، (العدنان، الصادق، الهادي،
الشفيّع، خاتم المرسلين) عند الناس وعند الله
تعالى، فيطلب الشفاعة منه.

وخلاصة القول في هذا المقام، فإنّ الشاعر
خالد شامخة، مثل غيره من الشعراء الشعبيين
وجّه عنايته نحو المديح النبوي باهتمام بالغ

الشعراء الشعبيين بالجنوب الجزائري، ففي قصيدته " يا جاهل تاريخنا" التي يفتخر فيها بمدينة متليلي وتاريخها وتراثها، خصّ شاعرها قدور بلخضر بمعظم الأبيات مادحا ومبرزا مكانته الشعرية والعلمية، مذكرا بموضوعات شعره، وما يمثله من رمزية، فهو شاعر فحل قوي، في مقدمة الشعراء، شائع في بلاد العرب (المغرب والشام)، حامل مشعل العلم، متصف بجميل الصفات الخلقية والخلقية، معانيه متدفقة، تنم عن الحكمة ورجاحة العقل، بمثابة الدواء الشافي من الجهل، وكلامه حلو، وشعره صاف، بديع الصور، حيث قدّم صورة متكاملة حسية ومعنوية عن هذه الشخصية الشعرية:

نبدا قصيدي من ذاك المشعل

نورو ضوئنا علينا وسط الظلام

بالله يا غزال شعابنا لفحل

شيخ الشعراء قوي يا ضرغام

مربع القدّ ما قصر ما طول

معدول فالمشية للقدّام

بلخضر قدور شاعرنا الأول

مثال الشعراء في المغرب والشام

معاني عندو سواقي كالعسل

يتداوى بها الجاهل كثير التخمام

وكلامو بأمثال غامق وحاتل

الدهان الصافي فضله من الأحكام

قلبي تاه في معانيه وارحل

وشعره صياد ماهر بلا تعزام

(شامخة، 2012، صفحة 14)

كشف عن حب وإخلاص وصدق، وتعظيم لمكانة النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه، مبرزا صفاته وفضائله ومعجزاته وسيرته، معظما له ومصليا ومسلما عليه، ذاكرا أصحابه وأهل بيته، وهو في ذلك يترسم خطى شاعر متليلي قدور بلخضر، مما يكشف عن " صدق عاطفتهم وجمال إحساسهم وقوة إيمانهم ومدى تعلقهم بالنبي صلى الله عليه وسلم" (حتي، 2012، صفحة 78)

2.2. في مدح الشاعر بلخضر قدور:

ذكرنا في مقدمة هذا العنصر أن المدح هو الثناء، أي ذكر الخصال والمناقب التي تعلي من شأن الممدوح وترفعه نحو سماوات المجد، ببناء صرح من القيم والمثل ونسبها إليه، ولا يتحقق هذا البناء إلا للشخصيات العامة من الملوك والخلفاء والسلاطين والأمراء والعلماء والشعراء وغيرهم من المشاهير، الذين أثروا في حياة الناس، وفي مسارات مجتمعاتهم، وأحدثوا تحولات في التاريخ، بالنظر إلى قيمتهم الرمزية ومكانتهم السياسية والاجتماعية، ومنجزاتهم التي أهلتهم للقيادة، أو للتأثير على السيرة الاجتماعية، لذلك فإن الشاعر خالد شامخة أدرك أهمية المدح، فأبرز من خلاله الشخصيات التي نالت إعجابه، فأثرت فيه على مستوى الشعرية أو على مستوى الموقف والرؤية، كتبني بعض المواقف السياسية، التي كشفت عن انتماه الإيديولوجي؛ فمن الأولى وجدنا احتفاءه بشاعر متليلي بلخضر قدور، حيث ورد ذكره والإشادة بخصاله، في كثير من أبيات الديوان، فهو بمثابة الملهم والمعلم الذي اتخذ الشاعر قدوته التي يسير على نهجها؛ إذ ينتهي من الناحية الفنية إلى مدرسته في الشعر الملحون، بالنظر إلى رمزية هذه الشخصية، وتأثيرها في

ثمّ يواصل ذكر سلسلة الأوصاف التي تحلّى بها الشاعر، فهو مضرب المثل، ودواء للجراح والأسقام وكلامه ميزان العقل ومفتاح القلوب، متبحّر في العلم ومتفقه في الدين :

بلخضر قدور نضرب بك مثل

ونحطّك على لجراح تبرى الأسقام

كلامه يا سادة ميزان عقل

مفتاح قلوب الناس من الأكتام

قصة المزيود للميهوب أذهل

فسّر اللغز للنذر موفي بعد تخمام

حافظ القرآن وأياتو يجلجل

والفقه والحديث من كل أقسام

ماني قاصد في مدحه نشكر ونجمل

هذه حقيقة شاعرنا ماهيش أوهام

(شامخة، 2012، صفحة 14)

وبعد أن ينفي تقصّد مدحه، بل وأحقّيته بهذه المكانة، واتصافه بهذه الصفات هي حقيقة واقعية لا مبالغة فيها، وبعيدة عن الأوهام، يعدّد أبواب العلوم التي تبخر فيها، كالتوحيد والفقه، والمديح النبوي ومدح الصحابة ومدح الصالحين، إذ قال:

سبع أصناف جاب عنها وفصل

أولها التوحيد بالله سبحانه

العلام

ثانيها في مدح النبي المرسل

محمد حبيبنا الخاتم الإمام

ثالثها في العدّ الصحابة الكلّ

في غزوات كثيرة صايين بسهام

رابعها في مدح الصالحين يعدل

العاقل منه ينسى كلّ كلام

سيد الشيخ والزوى عنهم سجل

بخصايل كثيرة تبقى للدوام (شامخة،

2012، صفحة 14)

وفضلا عن ذلك ، فقد برع في الغزل العفيف ، متيما بحبيبه مسعودة:، ويبدو الحب هنا محمدا عظيمة ومكرمة من المكارم، ترفع صاحبها نحو درجة من السمو، الأمر الذي يعكس تمجيد البيئة البدوية لظاهرة الغزل العفيف، باعتباره تجلّ من تجليات العظمة والرفعة:

في بحر الحبّ شاعرنا توغلّ

قصايد العفيفة قوال وعوام

بمسعودة عقله راه تغزلّ

نار الحب كواته مع صهد الغرام

شاعرنا بمثليي راه هلّل

بنورها تعلم كل ميوز الإلهام

(شامخة، 2012، صفحة 14)

وفي ختام القصيدة يعود للتأكيد على إبراز مكانة شاعره بلخضر قدور ، ويرفعه إلى مستوى أسطوري، فهو الرمز والبطل ، وأسطورة موطنه الشعانية:

بلخضر قدور الرمز البطل أسطورة الشعانية

على مرّ الأعوام (شامخة، 2012، صفحة 15)

ومن خلال هذه المقاطع الشعرية يمكننا أن نفهم غايتين وهما: مكانة الشاعر قدور بلخضر كرائد للشعر الملحون في الجنوب الجزائري ، وشدة إعجاب الشاعر خالد شامخة واتخاذة نموذجا فنيا وقدوة اجتماعية.

أهلته ليكون بتلك المنزل المرموقة بين الشعراء
والحكما.

3.2 في مدح أهل الصحراء:

لعلّه ممّا لا يختلف حوله القول، أنّ لأهل
الصحراء قيما وفضائل ميزتهم عن غيرهم من
المجتمعات الأخرى، سواء ارتبط الأمر بطبيعة
البيئة التي تتطلب ذلك أم لطبيعة فهم، والأهم
من ذلك أنّ هذه القيم راسخة فيهم، حتى وكأنها
فطرة فيهم، وقد تنبه شوقي ضيف إلى ذلك،
عندما تحدّث عن أخلاق عرب الجاهلية وأهمها
الشرف الذي "تكوّن حوله مجموعة من الخلال
الكريمة. لعلّ خير كلمة تجمعها هي كلمة المروءة
التي تضمّ مناقبهم، مثل الجلم والكرم والوفاء
وحماية الجار وسعة الصدر والإعراض عن شتم
اللئيم والغضّ عن العوراء" (ضيف، دت، صفحة
67) وكلّ هذه الصفات اجتمعت بدرجات متفاوتة
في ديوان خالد شامخة، في مدحه لأهل الصحراء
، وإبراز خصالهم وتعداد مناقبهم، وخاصة صفة
الكرم، التي لا تفوقها خصلة أخرى" وقد بعثها
فيهم حياة الصحراء القاسية وما فيها من إجداب
وإمحال" (ضيف، دت، صفحة 68)، ففي مدحه
لأهل متليي وغرداية وجدنا تركيزه على القيم
الأخلاقية والاجتماعية، وما ميز أهلها من شجاعة
وكرم وطيبة، إذ يقول:

سوّلت ناس النعرة قلوب الرضايا

والطيبة ميزانها عند الطيبين

أمّاس الشفرة على العدا مضاي ن

حطّمهم على لجراح تبرالي في الجين

الجود والكرم سواقي جرايا

والهمة عكاز متكي عليه سنين

ويبدو أنّ هذا هو موقف الكثيرين من هذا
الشاعر الكبير الذي ذاع صيته في القرن الماضي
"لما يمتاز به شعره من عمق في المعاني وسلاسة
في الألفاظ ورشاقة في الإيقاع، إضافة إلى طول
نفسه الشعري" (جعني، 2016، صفحة 160)،
فضلا عن تعدّد الأغراض التي طرقها كالمديح
النبوي والغزل وشعر المغازي. وقد لاحظنا أنّ
خالد شامخة يقرن بين ذكر متليي والشاعر
بلخضر قدور، سواء في مقام الوصف أو الفخر.
خاصة في قصيدته "شيوخ العلم" التي يمدح فيها
أعلام الجزائر، من علماء وفقهاء وشعراء، كان
لهم بالغ الأثر في المحافظة على الهوية الجزائرية
وعلى تراثها وكيانها، وهذا بمناسبة انعقاد
الملتقى الوطني "أعلام الجزائر من خلال التراث"
المنعقد سنة 2010، إذ يقول:

بلخضر قدور شاعرنا بالذات مملوك بحبك
وأنت شنيالي (شامخة، 2012، صفحة 50)

ولا شك أنّ هذا الحبّ والتقدير، الذي ناله
الشاعر بلخضر قدور، نابع من المكانة السامية
التي بلغها، والرسالة التي تكفّل بحمل أعبائها،
مع التزامه بالقضايا المصيرية لمجتمعه ووطنه،
خاصة فيما تعلّق بدعوته لمقاومة المستعمر،
وتأييده لأبطال المقاومات والثورات الشعبية، أمّا
على الصعيد الفنّي فقد امتاز شعره بسلاسة لغته
وجمالها، وذيق صيته وانتشار أشعاره بين الناس
، بالإضافة إلى ما اتصف به من دماثة الخلق،
ومن حكمة ورزانة فقد "تميّز برجاجة العقل
وبعد النظر" (جعني، 2016، صفحة 170).
إضافة إلى حضوره في المناسبات الدينية
والاجتماعية كالأعراس والمآتم وإنشاده فيها بما
يتلاءم مع طبيعة المناسبة. وكلّ هذه الخصال

(شامخة، 2012، صفحة 10، 11)

رؤية اجتماعية يتأسس عليها المجتمع الصحراوي في تركيبته البشرية، وفي قيّمه وتقاليده التي تنبني على المحبة والترابط والعزّ والأنفة، ذلك أنّ هذا النسيج يؤلف كيانا واحدا متلاحما تشده أواصر متينة، يعمل الشعر (الشعبي) على ترسيخها والحفاظ عليها:

عرش المحبة يالي نزلتو زيار

سهلا ومرحبتين بيكم جيتونا

أهل الجود والكرم مهد الثوار

شعنب صيل العزّ مالين القمنا

متليلي اليوم قمرة في لقطار

من عكاظ الشعر والكلمة الزينا

(شامخة، 2012، صفحة 22)

و تتردّد المعاني نفسها تقريبا ، عند ذكره لمكارم أهل الأغواط وأدار، حيث إنّ الفضاء الصحراوي واحد من ناحية النسيج الثقافي، وإن اختلفت بعض العناصر والمكونات المحلية، إذ يقول في ذكر محاسن أهل الأغواط، بمناسبة مهرجان الشعر الشعبي والأغنية البدوية الذي انعقد بها سنة 1998:

يا زابر الأغواط محلّاه بديار

أهل الجود والكرم هم معروفين

هذه البلدة ناسها جملة شطّار

ناس الصنعة والجرف ما اليمين

تاريخو الأغواط شاهد يا حضّار

في قلب التاريخ حروفو منحوتين

(شامخة، 2012، صفحة 29)

ولا يكتفي الشاعر بذكر هذه الأمجاد، التي تشكّل قاسما مشتركا بين مجمل أهل الصحراء،

فقد شبّه كرمهم بالسواقي الجارية ، التي لا يوقفها أي حاجز، وهذا يذكّرنا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه كان في رمضان كالريح الجارية في كرمه وعطائه. كما نشير هنا إلى أنّ مدح أهل الصحراء بالكرم والجود قد تواترت في مجمل قصائد الديوان، بل و كثيرا ما نلاحظ ذلك التداخل بين المدح والفخر وأحيانا الوصف، حيث لا يمكن فصل هذه الأغراض عن بعضها لأنها ترد في سياق واحد ، يفترض فيه اكتمال اللوحة الفنية استدعاء جملة من الأغراض الشعرية حتى يكتمل المشهد، ويغطي الجوانب المختلفة، كقوله :

أحنا أصحاب النيف ما نرضوا بالذلّ

ونموتوا على الشهامة عاليين المقام

(شامخة، 2012، صفحة 15)

فبعد أن مدح الشاعر أهل متليلي بالكرم والشجاعة والأنفة، هاهو يمدحهم بالعلم والدين وإعمار المساجد، وبالريادة في الشعر الملحون:

أهل العلوم في الجوامع لوحة وكتاب

لفظ الآية في أحكامو سؤالة

العلم الموهوب فيه عندي لسباب

الشعر الملحون فيه معاني ومسالة

(شامخة، 2012، صفحة 17)

في قصيدته "عرش المحبة" يخصّ بالمدح أهل متليلي، بل وقبيلة "الشعابنة" التي اجتمعت فيها كل صفات الخير من كرم ومحبة وحسن ضيافة، وعزّ وأصالة، فضلا عن كونها مهد الثورة و موطن التراث والشعر الملحون، وهو بذلك يحيل على

محتفيا بكل مظاهر الخير والجمال وروح المحبة
والترحاب لدى أهلها:

أهل الحكمة والعلم والمشورة

نجوم تاللي في سواد ليلاتو

حافظين المنزل سورة بسورة

التفسير والفقه والحديث بمعناتو

سيدي بلكبير منبع من يقرأ

قدرك عالي في مقام لي فاتو

(شامخة، 2012، صفحة 55، 56)

وعلى العموم، فقد احتفى الشاعر بأخلاق أهل
الصحراء وقيمتهم أيما احتفاء، ذاكرًا مناقبهم
وخصالهم، مشيدا بصفاتهم الحميدة،
والمستمدة من عمق بيئتهم، ومن أصالة طبعهم،
فهم أهل الكرم والدين والعلم والشجاعة
والأنفة، وهم رمز الأصالة.

4.2. في مدح شخصيات متفرقة:

عرفنا أنّ المدح إما أن يصدر عن دوافع ذاتية،
كالحبّ والإعجاب بالشخصية، أو بغرض
التكسب، أي لتحقيق منافع مادية آنية،
ومصالح شخصية، من خلال التقرب إلى ذوي
السلطان والنفوذ وأصحاب المناصب العليا.

وفي هذا المقام وجدنا بعض القصائد
للشاعر الشعبي خالد شامخة، يمدح فيها الرئيس
الراحل عبد العزيز بوتفليقة، منها (شباب اليوم،
رجل السلام، كلمة)، ويبدو أنّ ذلك جاء متناغما
مع موقفه الإيديولوجي، لأنه يؤيد كلّ ما هو
رسمي، حيث يعترف بدوره، ويصفه بالشهامة
وعلوّ الهمة:

تحية عرفان لرئيسنا الزين الشهم

بوتفليقة سيدنا للهمة مراح

وهي القيم نفسها، التي اعتر بها الشعراء
الشعبيون، ورواد الشعر الملحون في الجزائر،
والتي استقوها من التراث الشعري والأخلاقي
العربي، بل يعزّ على جوانب تاريخية، شكلت
منعطفات حاسمة، في التاريخ الوطني، وكشفت
عن مظاهر مقاومتهم للمستعمر، وتبنيهم للحرية
وللوّحدة الوطنية.

وفي السياق نفسه، يكشف الشاعر عن ترابط
الأجيال، وتمجيد الماضي، بذكر الأجداد وتعداد
مكارمهم، التي يجب أن تروى للأجيال اللاحقة،
حتى لا يضيع الإرث العظيم الذي خلفوه، فهم
إضافة إلى الكرم، أهل علم وتقوى وشعر
وتصوف، وهم الأحرار أهل الشرف والجهاد:

نتفكر ماضي ناسو عوقالة

ناس الفمة والخير هم أماليه

كي كانوا قبيل أهلي رخالة

معاشرين البرّ سرو ما تخفيه

وتبقات أخبارهم في كل مسألة

هذا الجيل اليوم راني يحكي ليه

سكنوا بيت شعر أولاد الخالة

ترباوا في عزّ لي نبغيه

فحولة متشبطين هم رجّالة

شعنب صيل العزّ هوما كانوا بيه

وطن الحبّ أنت وطن البودالة

لتعرفوا بالدين متصوفين بيه

(شامخة، 2012، صفحة 32)

كما أشاد بأهل أدرار في قصيدة عنوانها "عروس
توات"، فمدحهم بالكرم _ وهي قيمة مشتركة _
ثم وصفهم بالحكمة والدين والعلم والفقه
والشورى والخير، ذاكرًا العلم الشيخ بلكبير،

عبد العزيز أنت شنيال الخير العارم

يحفظك الله لبنا بالأرباح (شامخة،

2012، صفحة 24، 25)

كما يمدحه بأنه فخر الجزائر وصانع الوثام والسلام، والشجاع المغوار الوفي، مشيدا بأهم إنجاز له وهو تحقيق المصالحة الوطنية، وبذلك استحق أن يكون سفير المحبة والسلام بين الأمم، حيث يقول في هذا المقام:

هذا عرسك يا بلاد الوثام

أم الشهداء عرسك علا تو

عرسك فخر الدزاير والسلام

متشبط مغوار وافي في ذاتو

بوتفليقة سيدنا البطل الهمام

ولد العزّ عزيز نذكر صفاتو

رايسنا للخير كي الطير الحوام

سلطان المصالحة جايب

انعاتو

(شامخة، 2012، صفحة 35)

وللأمانة فإنّ الشاعر نظم هذه القصائد المدحية سنة 2008، مشيدا بمنجزات الرئيس السابق، ولعلّ ذلك قد يرتبط بمستوى الوعي لدى الشاعر من جهة، وبانتمائه الإيديولوجي من جهة أخرى، حيث يعلن الولاء المطلق للسلطة السياسية والدينية والاجتماعية، ويتماهي مع مواقفها وقراراتها. ومن ثمّ يمكن القول بأنّ نصوص خالد شامخة هي شكل من أشكال التمثيل السياسي للمؤسسة بكلّ تمركزاتها، إذ لا نجد حيادا عن الخط الذي رسمته المؤسسة الاجتماعية والسياسية، وهذا التمثيل صادر عن ولاء مطلق لرؤاها وقراراتها؛ إذ تجسّد من وجهة نظره قيم

الحكمة والقيادة الرشيدة، والوفاء للشهداء وللوطن.

و نجد النبرة ذاتها في قصيدة "كلمة" التي أشاد فيها بحكمة الرئيس وبعلو شأنه، فهو مفخرة الجزائر، ومجاهدها، وهو نموذج نادر قلما يوجد به الزمان - حسب رأي الشاعر:

نحي رئيسنا مراكح العصمة

بو تفليقة فخر الدزاير يا رجال

متشبط زعيم سلطان الحكمة

عبد العزيز مجاهد أمثالك قلال

(شامخة، 2012، صفحة 38)

وقد نلاحظ هنا بعض الفرق بين الشعر الشعبي والشعر الفصيح، الذي يميل نحو التمرد والمعارضة ونقد السلطة السياسية - بدرجات متفاوتة - مقابل الشعر الشعبي الذي يميل للمهادنة والولاء.

وفي إطار فلسفة الولاء للوطن والأمة، رأينا أنّ الشاعر انشغل بأهم قضاياها، ممثلة في القضية الفلسطينية، لذلك ليس من المستغرب أن نجده يفرد لها قصائد كاملة، ينافح عن حقها في الحرية والاستقلال، ويمدح زعيمها الراحل وقائدها ياسر عرفات، بغض النظر عن الصراعات السياسية الدائرة بين مختلف الفصائل، لأنّ الشاعر - على ما يبدو - يتبنّى الموقف الرسمي للسلطة:

ياسر عرفات القايد لخصل مثال البسالة
وصوته علاه

قال نموت شهيد ما بقاش الذل فلسطين
مصيبرها تتحرّر بإذن الله (شامخة، 2012،
صفحة 43)

وأمام حبل المقصلة ، بنظرة حادة كنظرة الصقر ، ويحسبه في عداد الشهداء الذين وهبوا أنفسهم لله وللوطن، في يوم مبارك هو عيد الأضحى ، وهي صوّر مكررة في شعر المدح العربي، سواء أكان فصيحاً أو شعبياً. كما يشيد بعراقه نسبه ، و يذكر ما تحلّى به من أخلاق فاضلة كالصبر والإيمان والشجاعة وفصاحة اللسان، فهو من سلالة علي _ كرم الله وجهه _ المعروف بتدينه وتقواه. لسانه كالسيف، قاطع في قول الحق، شجاع بطل صابر، غير أنّ قضاء الله وقدره سبق:

صدام الحسين من ترايت حيدر علّالة
متولّع بالدين قول مولانا يذكر فيه
متزعم يوم الطراد ما كادوه الدلالة
لسانو كالسيف حدّ ما يقدرش يعايبه
المؤمن مصاب من صبر لأحكام الله ناله
والشجاع الفدّ شيمته في الوجه تنابيه
الموت للي صابت ذا بطل قصبة عجالة
ذا حكم القدر والقضاء ربي رايد بيه
(شامخة، 2012، صفحة 53).

من جهة أخرى فإنّ اهتمام الشاعر الشعبي خالد شامخة، لم يقتصر على مدح الشخصيات السياسية، بل تعدى ذلك إلى القادة والمصلحين والشهداء، ومنهم العلامة المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، في قصيدته (شوفة في ضوء القمر) بمناسبة الاحتفال بيوم العلم (1999) ، حيث وصفه بشيخ العلوم وقاهر الخرافات ، ومقاوم الاستعمار بالريشة والقلم، وكاسر قيود الظلم والعدوان، والشائع اسمه في البلدان ، من إفريقيا إلى الحجاز ، بفضل حملته شعلة العلم ، حتى أصبح مثل السحاب الممطر الذي يسقي

وهذا المدح يكشف عن انشغال الشاعر خالد شامخة بالقضايا الوطنية والقومية، ومناصرتة لها، من خلال مدح الزعماء والقادة، وتصويرهم على أنهم نموذج الكفاح والمقاومة ، من أجل الحرية، أو من أجل الدفاع عن الأوطان، إذ يقول في مدح صدام حسين، في قصيدة عنوانها "سجيع الرجال"، والحقيقة أنّ القصيدة من الرثاء، بعد حادثة إعدامه في عيد الأضحى، سنة 2006، وبما أنّ الرثاء هو ذكر مناقب الموتى، فهو بطريقة أخرى ضرب من المدح، لذلك فإنّ الشاعر وبعد أن عبّر عن حزنه وحزن الأمة على الفقيه ، صوّر حادثة الإعدام، مع تعداد فضائل وأعمال وخصال الراحل، حيث يقول:

صدام الحسين يا القصور بطل البسالة
غدره الكفّار كلّ شيعة فارح من لهيه
وداوك للموت بالأكتاف مكبل بغلالة
مرتاح الضمير فارح لمولاك تلاقيه
متلّكت نعت سبع إذا زهر فالهيش الدلالة
وبرهانك معلوم كلّ الأمة تتعاشى بيه
عادو مرعوبين من خيالك حبل المقصلة
جلّادك بالسوط ثلّف حديثو غاب عليه
والنظرة كالصقر كان حام على بُرج ضلالة
وُحوش البَرّ هابية من نظرة عينيه
الهيبة والعزّ ثابتة للمولى تعالى
وأعطاهما لو في نهار موته باه تواتيه
شهد بالإله مرتين ختم بالجلالة
وأهدى نفسه للبلاد عمرو ما هائم به
(شامخة، 2012، صفحة 53)

فالشاعر يعتدّ بشجاعة الفقيه ، ويشبّهه بالأسد والسبع، الذي يربع أعداءه، حتى وهو

كل أرض عطشى، امتد تأثيره إلى مصر وأفريقيا والحجاز والسودان، وسائر البلدان:

هذا شيخ العلوم راه قهر وحارب الخرافات وأهل الخزيان

بالريشة بن باديس راه كسر قيد الاستعمار وظلم العدوان

اسمك وارد في كل قطر من التل للصحرَاء في كل البلدان

بن باديس شعلة من نور مفقهر وخصايل كثيرة ليك بالبيان (شامخة، 2012، صفحة 46)

والواقع أنّ الشاعر خالد شامخة قد أفاض في موضوع المدح، لاعتبارات كثيرة، ودوافع مختلفة، بعضها موضوعي، ومنه دأب الشعراء الشعبيون على هذا الغرض الشعري البارز، حتى في التراث الفصيح (معظم التراث الشعري العربي عبارة عن مدح)، ومن ثمّ فإنّ الشاعر وفيّ لمدرسة الشعر الشعبي واتجاهها الفنيّ، وبعضها ذاتي، ومنه شدة تعلقه بحبّ الرسول عليه الصلاة والسلام، وتأثره الواضح بالشاعر قدور بلخضر، وارتباطه بالميول السياسية والإيديولوجية للشاعر، ومن ثمّ كان ذلك حافزا على الإطالة في المدح؛ حيث تناول شخصيات كثيرة، وأبرز عظمتها وتأثيرها في العالم، كشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبعض الشخصيات السياسية محليا وعربيا، فضلا عن الأبطال والمصلحين والعلماء. ومن الشخصيات التي ورد ذكرها في باب المدح، متضمنة في ثنايا القصائد نذكر: البشير الابراهيمي، الشيخ بلكبير، ومحمد كتّو، وبن ناصر بن شهرة، وبن كزيو، وبن قيطون وغيرهم.

3. خاتمة:

بعد هذا الاستقصاء والبحث عن أهمّ تجليات المدح، في ديوان الشاعر الشعبي خالد شامخة، نخلص إلى النتائج التالية:

_ تضمّن الديوان معظم الأغراض الشعرية التي عرفها الشعر العربي الفصيح والشعبي، من مدح ووصف وغزل.

_ احتلّ المدح مساحة مهمة في ديوان "ألوان من الواحات"، بالنظر إلى عدد القصائد والأبيات التي انطوت عليه.

_ تعدّد الشخصيات التي مدحها، بين العظماء كالرسول صلى الله عليه وسلم، وبقية الشخصيات التاريخية والسياسية والأدبية وغيرها.

_ انقسم المدح إلى مديح نبوي، ومديح الأشخاص كالشاعر قدور بلخضر والرئيس السابق بوتفليقة وابن باديس.

_ التداخل بين المدح والوصف والشعر الوطني التحرري.

_ أخذ المدح أبعادا وطنية وقومية.

_ سلك الشاعر في مدحه أسلوب السابقين، من شعراء الفصيح والشعر الشعبي، فذكر خصال الممدوح، وأبان عن فضائله وخصاله المحمودة، وأبرز مكانته السياسية والاجتماعية، مع إيضاح تأثيره في مجتمعه، أو في المجتمع الإنساني.

_ يبدو تأثير الشاعر قدور بلخضر واضحا في أسلوب خالد شامخة وطريقته.

_ اعتمد الشاعر في مدحه على مرجعيات دينية وتاريخية وسياسية وأدبية.

_ طغيان التكرار في صفات المدح.

- _ ارتباط صفات الممدوحين بالبيئة الصحراوية وقيمتها.
3. جعني زينب (2016)، الشعر الشفهي في مدينة متليلي ولاية غرداية، الشاعر قدور بلخضر أنموذجا. مجلة الذاكرة، ع 4.
4. حني عبد اللطيف (2012) المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع 10 و11، جانفي وجوان.
5. شامخة خالد (2012) ألوان من الواحات، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي، غرداية، ط 1.
6. ضيف شوقي (د ت)، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 11،
7. فضة ميلود (2020)، المديح الديني في الشعر الشعبي الجزائري، يحي بختي أنموذجا، مجلة المداد، مج 10، ع 2.
8. مبارك زكي (2023)، المدائح النبوية في الأدب العربي، مؤسسة هنداي، القاهرة، د ط.
9. محمد سراج الدين (دت)، المديح في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، دط
- _ أفتح ديوان "ألوان من الواحات" للشاعر آفاقا واسعة أمام الباحثين لدراسته على المستوى الموضوعاتي والفني والبنوي والأسلوبي وغيرها. وبالتالي فهو يتوفر على مادة ثرية للبحث والاستكشاف.
- _ أهمية الشعر الشعبي الجزائري في التوثيق للأحداث التاريخية والدينية والوطنية.
- _ دور الشعر الشعبي في ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية، وأثره في ترسيخ الهوية والقيم الثقافية للأمة الجزائرية.
5. قائمة المراجع:
1. القرآن الكريم برواية ورش.
2. ابن منظور (د ت) لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي دار المعارف، القاهرة. دط